أعطونى أمة ضعيفة القومية ذات نتاج خالد ! أليس لنا في اليونان أمة العبقرية والفنّ مثل واضح على ذلك ؟ لقد تحجرت مواهبها وعبقريتها منذ تلاشت قوميتها . وهل أعطي العرب نتاجهم الأدبي إلا يوم كانوا أقوياء ؟ وأى نتاج لهم فى عصر الضعف والتلاشى ؟ وهل يدرس الطلاب من الأدب الغربي إلا أدب الأمم التى ثبتت قوميتها ، وخفقت حريتها ؟ . . . وإذا كانت الثقافة أحلت لهذه الأمم أن تسخر ما لا يسخر للدعاية أفهل يلومنا أحد على أن نسخر هذا الشئ نفسه لغاية أسمى وأعلى ، لغاية إحياء قومية نبيلة : « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » . . . إنى أخاف إذا غالينا فى تجريد أدبنا من قوميتنا أن يقولوا : هذا أدب إنسانى ولكن بلا وطن! وضعف القومية يقتل كل خاصة مبدعة فى الشعوب . لقد عملنا عملنا الانسانى كأفراد فلنجرب أن نعمله كأمة !

نحن فى مرحلة نستطيع أن نقول فيها للأديب ما قاله وزير الدعاية النازية : « لايحق لك أن تقول « لايهمنى شيء من هذه المرحلة » . وما قاله مكسيم غوركي « يجب على كل أديب أن يشعر بمسئوليته الخطرة فى هذه المرحلة لأن عليك أيها الأديب يتوقف كل شيء لأنك لست حاكياً ترددّ ، ولا آلة فونوغرافية عمياء تصور ما يعرض لعدستها ، ولا اسطوانة حاك تستنطقها أية إبرة نفس الكلمات ، وإنما أنت الصوت وغيرك الصدى . أنت الريشة التي تصور ، والأمة الأخيلة التى تلتقطها . أنت الابرة التى تنقش على الاسطوانة ما تريد والشعب الاسطوانة ، فعليك أن تتخير الكلمات التى تريد أن تنقشها . . . وإذا كان هم الرجل السياسى أن ينظم علاقات أمة وشؤونها فى الداخل والخارج . فان هم الأديب أن يوجه حياتها ومجتمعها . ويعطينا أدباً يستمد حياته من قلب حياتها لا من بطون الكتب والحجارة . . . »

الساعة قد دنت : وعلى هذه الأرض التى سطعت عبقريتها يريد جديد من المجد والجمال أن يتيقظ !

إنا تذوقنا من ألوان الاضطهاد فى الأجيال السابقة ما يجعلنا نسخر حتى السماء فى تشييد حريتنا وقوميتنا . . . فكيف لا نسخرك أيها الأدب لهذه الحرية ، وكيف لا نسخركم أيها الأدباء لأدب أرى فيه وجه أمتى . ؟

منير الشرارى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٥ —

الرافعى فى أهله

« إذا رأيت رجلا موفقاً فيما يحاوله مسدّد الخُطا إلى الهدف الذى يرمى إليه ، فاعلم أن وراءه امرأة يحبها وتحبه ! »

وأنا لا أعرف — فيمن أعرف — أحداً تنطبق عليه هذه الحكمة الغالية انطباقها على حياة الرافعى ؛ فالواقع الذى يعرفه كل من خالط الرافعى واتصل به وعرف طرفاً من حياته الخاصة ، أنه ما كان ليبلغ مبلغه الذى بلغ لولا الحياة الهادئة التى كان يحياها فى بيته ؛ فالى زوجه يعود فضل كبير فى نجاحه وتوفيقه وهدوء نفسه ، هذا الهدوء الذى هيأه إلى دراسة نفسه ودراسة من حوله والتفرغ لأدبه وفنه ، لا يشغله عنهما شاغل مما يشغل الناس من شئون الأهل والولد .

وقد تزوج الرافعى في الرابعة والعشرين من عمره ؛ ولزواجه قصة فيها طرافة وفيها مجال للفكر والنظر ؛ ومادمت قد أخذت على نفسي أن أكتب عن الرافعى فى كل أطواره ، فلا على أن أقول ما أعرف من قصة زواج الرافعي ؛ ولا أحسبنى بذلك أتجاوز مالى من الحق أو أتعرض لعتب أو ملامة ، فقد خرج الرافعى من ملك نفسه وأهله إلى حكم التاريخ ، وللتاريخ حق واجب الوفاء

وزوج الرافعي مصرية صريحة النسب ، من أسرة البرقوق المعروفة فى (منيه جناج) — دسوق — وأخوها الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن البرقوق صاحب (البيان) ؛ وقد كانت صلة الأدب بين الرافعى وعبد الرحمن البرقوق هى أول السبب فى هذا الزواج .

حدثنى المرحوم الرافعى قال : ... كنت فى الرابعة والعشرين وكنت أعرف عبد الرحمن البرقوق نوعاً من المعرفة التى تربط

شابين توافقا في الطبع ، واتفقا في الغاية ؛ وكان عبد الرحمن
لباً أزهرياً ولوعاً بالأدب ، له حظوة ومكان عند الأستاذ الامام
كان من تلاميذه الأدنين ؛ وكنا نلتقي أحياناً ؛ فسرني منه
سره مني ؛ وكان يعيش عيشة مترفة ليست منها حياة الأزهريين
كان له من غنى أبيه ومن جاه أسرته عز وكرامة ... فما تعارفنا
ى تصافينا ، ثم اتصل بيننا الود ، فكنت له وكان لي أصفى
يكون الصديق للصديق . . .

لم أكن أعرف له أخا أو أختاً ، ولم يجر في بالي قط أن
صلة بيننا ستتجاوز ما بيننا ، حتى كان يوم جلست فيه أتحدث
نفسي ، فكأنني سمعت صوتاً من الغيب يهتف بي أن صديقي
د الرحمن هو صهري وأخو زوجي ... وانتبهت إلى نفسي وأنا
ائلها : أله أخت ؟ يا ليت ... ! لو كان إنني إذاً من السعداء..(١)

وكانت نفسي في الزواج ، فما هي إلا أن تحرك في نفسي هذا
اطر حتى سعيت إلى صديقي عبد الرحمن ، وقلت له وقال لي ،
يرنا الكلام إلى حديث الزواج ، فقلت لصاحبي : من لي يا أخي
وجة التي أريد ؟ ووصفت له الفتاة التي تعيش في أحلامي ؛
فرغت من حديثي قال صاحبي : أنا لك بما تريد . قلت :
رف ؟ قال : هي هدية أقدمها إليك . قلت : مَن ؟ قال : اختي!

قال الرافعي : وغشيتني غشية من الفرح ، فما تلبثت حتى
دت إليه يدي فقرأنا (الفاتحة) ، وما وقع في نفسي وقتئذ أني
يدي لأخطب عروسي لنفسي ، ولكني أمدها لأتعرف إلى
وس التي خطبتها عليّ الملائكة وأثبتت نبأ الخطبة في لوح الغيب

وبنى بأهله ، وعاشا أهنأ ما يكون زوج وزوج ، ثلاثاً وثلاثين
ة — ثلث قرن — لم يدخل الشيطان بينهما مرة واحدة ، ولم
اصما لأمر ، إلا مرة . . .

قال الأستاذ جورج ابراهيم : لقد حضرت عرس الرافعي ،
بيته طوال يومه حتى صعد إلى جلوة العروس ، وشهدت
طرابه وخجلتَه ، واستمعت إليه من بعد يتحدث عن
أدته وينبط نفسه على حظه وتوفيقه ، وما شكا إليّ مرة واحدة
ناله ، ومضى عام . . . وجاءني ذات يوم ، فجلسنا نتحدث ،
مرحنا في الحديث ، ولكن وجه الرافعي كان يم على شيء . .

على سر يطويه ، ثم لم يلبث أن أفصح ، قال : يا جورج ، لقد
عزمت على أمر ... سأطلق زوجي ! وراعني هذا النبأ ونال مني ؛
قلت : تطلقها ! لماذا ؟ قال : إن إخوتها يجحدون حقها في تركة
أبيها ، لا يريدون أن تستمتع منه بشيء . . . قلت : فهذا هو
السبب ؟ قال : نعم ، قلت : فما ذنبها هي ؟ قال : أيهون عندك
أن تكون زوجي ليس لها عند إخوتها حق ولا كرامة ؟ قلت :
ويهون عندك أن تأخذها بما اقترف أخوها ؟ . . . مصطفى ، إنك
جبار ، أوْ لا فاذكر أن الطلاق جريمة لم يقترفها قبلك أحد من
أسرة الرافعي ؛ أولا هذا ولا ذاك ، فاذكر أن أهل (طرابلس
الشام) لا يذكرون الطلاق إلا كما يذكرون نادرة معيبة وقعت
مرة ولن تتكرر من بعد . . . فكن بعض أهلك يا صاحبي . . . !

قال : وأطرق الرافعي هنيهة ثم قال : أحسبتني أفعلها ... ! ؟
ولم يدخل الشيطان من بعد بينه وبين أهله ، إذ كان كل منهما
يعرف لصاحبه حقه وواجبه . . . ومضت اثنتان وثلاثون سنة
بعد هذه الحادثة ، كما يمضي شهر العسل ، أو شهر الغزل ، ليس
فيه إلا العطف والمحبة والاحترام .

* * *

كان الرافعي يعيش في بيته عيشة مثالية عالية ؛ فهو زوج كما
يجب أن يكون الزوج ، وأب كما ينبغي أن يكون الأب ؛ وما كان
متكوراً لأحد من أهله أن الرافعي ليس موظفاً كسائر الموظفين
عمله في الخارج وحسب ؛ بل كانوا جميعاً يعلمون ما عليهم لهذا
الرجل الكبير ، ويشعرون بما عليه من تبعات تفرضها عليه مكانته
الأدبية ، فيهيئون له أسباب الهدوء والراحة والاطمئنان . كان
في بيته كالملك من الحكومة الدستورية : يملك ولا يحكم ، ويعيش
في جو من الاحترام والرعاية والطاعة ، فوق الأحزاب وفوق
المنازعات ؛ فمن ذلك لم تكن (سياسة) البيت تشغله أي شغل
أو تشغب في هدوئه وتعكر صفوه ؛ فكان خالصاً لنفسه ، منقطعاً
لفنه وعمله الأدبي ، فدار كتبه له هو وحده ، وطعامه مهيأ في
موعده وعلى نظامه ، وفراشه ممهد في موضعه لساعته ، ونظامه
الذي يحقق له الهدوء والراحة ونشاط الفكر مرعيٌّ مضبوط

على أنه كان إلى ذلك يعرف واجبه لزوجه وأولاده ، فما هو
إلا أن يفرغ من عمله حتى تراه بين أهله مثلا عالياً من الحب
والوفاء ؛ وأنا ما عرفت أبا لأولاده كما عرفت الرافعي ؛ إذ يتصاغر
لهم ويناغيهم ويدللهم ويبادلهم حباً بحب ، ثم لا يمنعه هذا الحب

(١) كان الرافعي يؤمن بالغيب والالهام إيماناً عجيباً ، وله في هذا الباب
حديث — سيأتي ذكرها — تشبه أن تكون من الخرافة أو من صنع
الهام .

الغالي أن يكون لهم أبا فيما يكون على الآباء من واجب التهذيب والرعاية والارشاد ، ناصحا برفق حين يتحسن الرفق ، مؤدبا بعنف حين لا يجدى إلا الشدة والعنفوان .

* * *

وما دمت بصدد الحديث عن الرافعي في أهله ، فان واجباً عليّ أن أتحدث هنا عن شيء من (حب الرافعي) أراه يتصل بهذا الموضوع :

في فترة ما من حياة الرافعي — سأتحدث عنها بتفصيل أوفي فيما بعد — كان للرافعي هوى وغرام ، ووقع له في هواه مايقع للمحبين من ضرورات الحب ، ودافع نفسه مادافع فلم يجد له طاقة على المقاومة ، واحتال على الخلاص فما أجدته الحيلة إلا همّا على هم ، وكان حبه أقوى منه ، ولكن دينه وأخلاقه كانت أقوى من حبه . وقال لنفسه : ما أنا وهذا الحدث الذي يعترض طريقي ويغلبني على إرادتي ؟ إن في بيتي امرأة أحبها وتحبني — والحب عند الرافعي لا يأبى الشركة ! — وإن لها عليّ حقاً ليس منه أن يكون مني لغيرها نظرة أو ابتسامة إلا أن تأذن لي ! ماذا يكون من أمري وأمرها غداً أمام الله حين يطلب كل ذي حق حقه ؟ أأقول لها : نعم قد ضيعت حقك وأعطيت من قلبي الذي لا أملك لمن لا تملك ؟ ويلي ! إنها الخيانة والاثم والعار !

وذهب إلى زوجه فحدثها وحدثته ، ثم أفضى إليها بخبره وكشف لها عن نفسه ، ثم قال : وأنت يازوجتي هل يخفى عليك مكانك مني ؟ ولكن . . .

واستمعت إليه زوجته هادئة مطمئنة . . . ثم أذنت له . . .

وكتب الرافعي رسالته الأولى إلى صاحبته التي غلبته على قلبه ، وقرأت زوجته الرسالة وطوتها وأرسلت بها إلى صندوق البريد . . .

وجاء جواب صاحبته فقرأته زوجته كما قرأت رسالته ، وصار هذا دأبهما من بعد . . . لا ترى زوجته لها حقاً عليه إلا أن تعرف ، ولا يرى على نفسه في ذلك ملامة مادامت زوجته تعرف . . . !

وأنشأ هذا الحب طُرْفَتين في الأدب العربي تم بهما نقص العربية في فلسفة الحب والجمال ، هما كتاباً « رسائل الأحزان » و « السحاب الأحمر » ولكن . . . ولكن أحداً لم يقرأ القصة الأخرى . . . قصة الحب والوفاء والتضحية ، لأن الرافعي لم ينشرها فيما ألف من الكتب في فلسفة الجمال والحب . . . !

« سيدي بشر »

محمد سعيد العريان

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ١٨ —

الديانة الفارسية

لا ريب أن من يلقي على الديانة الفارسية نظرة فاحصة يأخذ بلبه ما يجده بارزا بين جوانبها من المبتدعات « الزرادشتية » التي يجزم بعض مؤرخي الحركة العقلية بأنها لم يسبق لها نظير في تاريخ الديانات القديمة ، إذ لا يعرف التاريخ قبل « زرادشت » مجدداً قلب الدين القديم رأساً على عقب وأحدث فيه أحداثاً جديدة إلا « أخناتون » الفرعون المصري الذي نادى بالتوحيد في وسط معمعان الوثنية والتعدد الطاحنين ؛ ولكن « أخناتون » في نظر هؤلاء المؤرخين لم يبلغ مرتبة « زرادشت » لأن دعوته كانت تجديداً سياسياً أكثر منها دينياً ، ولهذا قد فشل تجديده على أثر صعود خلفه على العرش ، وإذاً فزرادشت هو الفذ الأسبق في هذا التجديد

ولكن ليس معنى هذا أن « زرادشت » قد قطع كل العلائق بالديانة القديمة وأنشأ ديانته إنشاء كاملاً ، كلا ، وإنما هو قد أقر منها الشيء الكثير ، وهذا هو الذي يحدونا إلى أن نلقي على الديانة القديمة نظرة عجلى قبل أن نعرض للديانة « الزرادشتية »

الديانة قبل زرادشت

ليس عندنا من المصادر عن الديانة الفارسية السابقة على « زرادشت » القدر الكافي لإعطائنا عنها صورة واضحة تمكننا من تحليلها على الطريقة العلمية القيمة ، وإنما كل ما نعرفه في هذا الصدد هو أن نقوشاً أثرية يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل المسيح وجدت في الشمال الغربي من بلاد فارس ، ووجدت فيها أسماء آلهة هندية ثلاثة وهي : « ميثرا » و « أندرا » و « ڤارونا »